# المضامين الوطنية في شعر محمد عثمان عبد الرحيم قصيدة «أنا سوداني أنموذجاً»

د. صلاح التوم إبراهيم

باحث- مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

**الملخص:**

يتناول هذا البحث المواضيع الوطنية في شعر الشاعر السوداني محمد عثمان عبدالرحيم، مبرزًا دوره في التعبير عن الوعي الجمعي للشعب السوداني ونضاله من أجل الحرية والكرامة والهوية الوطنية. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل نصوص شعرية مختارة ضمن سياقاتها التاريخية والسياسية والاجتماعية. كما يستكشف البحث المواضيع الوطنية الكبرى في شعره، بما في ذلك حب الوطن، ومقاومة الظلم، والاحتفاء بالهوية الوطنية، ومجد الشعب السوداني، وقيم الحرية والكرامة الإنسانية. ويخلص البحث إلى أن شعر محمد عثمان عبدالرحيم يمثل نموذجًا أصيلًا للشعر الوطني، يجمع بين الصدق العاطفي والعمق الفني، ويسهم بشكل كبير في الخطاب الأدبي السوداني المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الشعر السوداني - الشعر الوطني - محمد عثمان عبدالرحيم - المواضيع الوطنية.

## National Themes in the Poetry of Muhammad Othman Abdulrahim The Poem “I Am Sudanese as a Model”

**Dr. Salah Al-Toum Ibrahim Muhammad**

**Abstract:**

This research addresses national themes in the poetry of the Sudanese poet Mohamed Osman Abdel Rahim, highlighting his role in expressing the collective consciousness of the Sudanese people and their struggle for freedom, dignity, and national identity. The study relies on the descriptive-analytical approach, analyzing selected poetic texts within their historical, political, and social contexts. The research also explores major national themes in his poetry, including love for the homeland, resistance to injustice, celebration of national identity, exalting the Sudanese people, and the values of freedom and human dignity. The paper concludes that Mohamed Osman’s Abdel Rahim poetry represents an authentic model of national poetry, combining

emotional sincerity and artistic depth, and making a significant contribution to contemporary Sudanese literary discourse.
**Keywords:** Sudanese poetry – national poetry – Mohamed Osman Abdel Rahim – national themes.

**مقدمة:**

يمثّل الشعر الوطني أحد أبرز تجليات الوعي الجمعي في الأدب العربي الحديث، إذ يُعد مرآةً صادقةً لتحولات المجتمع، واستجابةً فنيةً لقضايا الحرية، والاستقلال، والهوية، ومقاومة الظلم. وقد شهد السودان، عبر تاريخه الحديث، ظروفاً سياسية واجتماعية معقدة، بدءاً من حقبة الاستعمار، مروراً بمرحلة الاستقلال، وصولاً إلى الأزمات الوطنية المتلاحقة، الأمر الذي أفرز خطاباً شعرياً وطنياً ثرياً ومتنوعاً؛ وأن الشعر السوداني لم يكن في كل مراحله الوطنية بعيدا عن حركة المجتمع بل سطر وعيا ثقافيا متكاملا للحرية والاستقلال. وفي هذا السياق، يبرز الشاعر محمد عثمان عبدالرحيم بوصفه أحد الأصوات الشعرية التي جعلت من الوطن محوراً أساسياً لتجربتها الإبداعية، حيث لم يكن الوطن في شعره مجرد إطار مكاني، بل تحوّل إلى قيمة معنوية، وهوية ثقافية، وذاكرة جمعية، ورمز للكرامة الإنسانية. وقد عبّر الشاعر عن قضايا وطنه بصدق وجداني، ولغةٍ واضحة، وصورٍ مستمدة من البيئة السودانية، مما أكسب شعره طابعاً إنسانياً ووطنياً متكاملاً. ويرى الباحث أن تاريخ الأدب السوداني وكثير من الباحثين والنقاد أغفلوا عن شعراء يستحقون الصدارة أمثال شاعرنا محمد عثمان عبدالرحيم، يقول البروفيسور محمد عبدالله سليمان: «رحل من عالمنا الشاعر السوداني محمد عثمان عبد الرحيم في صمت، وهذا شأن الشعراء والأدباء والمبدعين عموماً . لا نعرف قيمتهم إلا بعد رحيلهم ، ولا نلتفت إليهم إلا بعد نعيهم، وغالباً ما يشكل حجاب المعاصرة حاجزاً بيننا وبينهم ، وهذه مسألة قديمة في تاريخنا الأدبي، فكان أبو عمرو بن العلا لايعترف بشعراء عصره ، ولا يستشهد بأشعارهم ، لأنهم محدَثون ، فالشعر عنده يبدأ بامرئ القيس ويختم برؤبة بن العجاج ، ولكنهم أصبحوا بعد مضي عصرهم قامات شعرية يفخر بها الأدب العربي ، كأبي تمام والبحتري وأبي نواس وبشار بن برد إلى آخر القائمة ؛ وهكذا النقاد في عصرنا لايأبهون بمن عاصرهم من المبدعين إلا بعد رحيلهم ، ولذلك وقف حجاب المعاصرة بين شاعرنا محمد عثمان عبد الرحيم والنقاد ، فلم يتناولوه بالدراسة على الرغم من أنه شاعر مبدع وجزل، وأنتج شعراً غزيراً. لذا يأتي هذا البحث ليكشف عن شخصية الشاعر محمد عثمان عبدالرحيم وشعره الوطني ومكانته الأدبية، من خلال قصيدته «أنا سوداني».

**مشكلة البحث:**

تنطلق مشكلة البحث من التساؤل الرئيس الآتي:

ما طبيعة المضامين الوطنية في شعر محمد عثمان عبدالرحيم ؟ وكيف عبّر عنها فنياً ودلالياً؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات الفرعية، منها:

1.ما أبرز القيم الوطنية التي تشكّل الخطاب الشعري لدى الشاعر؟

2.كيف تتداخل الذات الفردية مع الهمّ الجمعي في شعره؟

3.ما الخصائص الفنية التي أسهمت في تكريس النزعة الوطنية في تجربته؟

**أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى:

1. الكشف عن أبرز المضامين الوطنية في شعر محمد عثمان عبدالرحيم.
2. تحليل تجليات حب الوطن والهوية والحرية في قصيدة «أنا سودلني».
3. إبراز العلاقة بين الخطاب الوطني والبعد الإنساني في تجربته الشعرية.
4. تسليط الضوء على الخصائص الفنية التي أسهمت في بناء الخطاب الوطني في شعره.

**أهمية البحث:**

تنبع أهمية هذا البحث من:

1. إسهامه في إثراء الدراسات النقدية حول الشعر السوداني، ولا سيما الشعر الوطني.
2. إبراز تجربة شعرية لم تحظَ بما يكفي من الدراسات الأكاديمية المستقلة.
3. توثيق العلاقة بين الشعر والتحولات الوطنية في السودان.
4. تقديم مادة علمية يمكن الإفادة منها في الدراسات الجامعية والأبحاث المتخصصة.

**منهج البحث:**

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

**الدراسات السابقة:**

1. دراسة مصعب مكي عبده: المضامين الوطنية في شعر مرتضى فرج الله ، ورقة مستلة من رسالة ماجستير، العراق، 9002م . هدفت الدراسة إلى التعرف على المضامين الوطنية فيشعرمرتضى فرج الله. اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: أثرت الأحداث السياسية التي زامنت حياة الشاعر مرتضى فرج الله (2191 – 4891) في اتجاهه الشعري، فنمت عنده النزعة الوطنية في أدبه، وجاء شعره السياسي في أغلبه شعراً متفائلاً يحاول ينبعث من ركام الهزائم والانتكاسات إلى فضاء الأمل والثقة في المستقبل.
2. دراسة عبدالمنعم عوض أبو شنب: الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب، جامعة شندي، 2010. هدفت الدراسة إلى توثيق الشعر السوداني في مراحله المختلفة، واختار الباحث الشاعر المجذوب لتنوع شعره الوطني وكثرته ولروحه الوطنية العالية التي لم تعرف المهادنة للمستعمر. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج منها:اتخذ المجذوب سلاح الشعر الوطني في وجه المستعمر، وتنوع شعره الوطني وامتاز بالروح الوطنية العالية.
3. دراسة د. سلوى بنت محمد المحمادي: مفهوم الوطنية والتأصيل الشرعي، بحث مقدم لندوة الانتماء الوطني في التعليم العام المنعقدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، السعودية، 2009 . هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الوطنية في الإسلام.اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها : التعريف الراجح للوطنية هو: قيام الفرد بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام؛ لضمان عدم طغيان الوطنية على رابطة الدين، وعلى اعتبارالحقوق المطلوب تحققها من الفرد مشروعة وضمن إطارالدين .وعلى الرغم من عدم ذكرالقرآن الكريم والسنة النبوية للوطنية بلفظها مطلقاً إلا أنه ورد ما يدل على معناها كثيراً .
4. د. الباشا برشم: النزعة الوطنية في الشعر السوداني»دراسة تطبيقية في شعر مدرسة الغابة والصحراء»

، كتاب صادر عن مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي ، أمدرمان، 2014. هدفت الدراسة إلى تتبع النظام الوطني في السودان وتأثيره على شعراء كل حقبة، وسمات مدرسة الغابة والصحراء التي تمثل أهم مدرسة فكرية شعرية في السودان تناولت موضوع الهوية.اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج منها: إن الشعر السوداني لم يكن في كل مراحله الوطنية بعيداً عن حركة المجتمع ؛ بل يمثل وعياً ثقافياً متكاملاً بالهوية .

5. دراسة ذيب آسيا، وسعدي وفاء: رمزية الوطن في الشعر العربي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة العربي بن معيدي، 2021. هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الرمزية واتجاهاتها في الشعر الوطني، اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: وظف الشعراء العرب في شعرهم الوطني العربي الحديث الرمز، فهناك من يرمز للوطن بالأم، أو الأخت، أو المرأة، أو المحبوبة، وكذلك يرمز له بالأرض وغيرها .

تناولت الدراسات السابقة موضوعات ذات صلة وثيقة بموضوع البحث الحالي، واتفقت مع البحث الحالي في المنهج العلمي المتبع. واستفاد الباحث من تلك الدراسات أيّما فائدة، وفتحت أمامه الباب واسعاً لدراسة متأنية حول موضوع بحثه وهو «المضامين الوطنية في شعر محمد عبد الرحيم عثمان من خلال قصيدة «أنا سوداني»»، وإنْ كانت هناك حسنة تسجل لهذا الدراسة الحالية، فإنّما هي محاولة الباحث التعرف على الشعر الوطني وسماته وخصائصه ومضامينه في نص شعري ذائع الصيت للشاعر محمد عثمان عبدالرحيم.

الشاعر محمد عثمان عبد الرحيم – لمحة تعريفية:

ولد الشاعر محمد عثمان عبدالرحيم في عام 1914م بمدينة رفاعة التي تقع جنوب شرق العاصمة الخرطوم في الضفة الشرقية للنيل الأزرق، وتعرف باسم مدينة العلم والنور. تخرج في كلية غوردون التذكارية التي أصبحت الآن جامعة الخرطوم، وكان عضواً في لجنة الزعفران التي هدفت لطرد المستعمر البريطاني من السودان، وكان سلاحه هو الشعر[1].

أصبح محمد عثمان عبد الرحيم من أبرز ناشطي جمعية الزعفران الوطنية، وهي الجمعية التي كانت تقود النشاط السياسي بكلية غردون في الفترة ما بين 1931 وحتى 1942م، وهي الفترة التي عرف فيها شاعرا مناضلا ساهم بشعره في فجر الحركة الوطنية. ويعد من الأوائل الذين أسهموا في تأسيس مؤتمر الخريجين عام 1938م، والذي أطلق فكرته الشاعر والسياسي الراحل أحمد خير[2]. واستقر منذ أن نال المعاش في الستينيات بمدينة رفاعة ولم يغادرها حتى رحيله، وكان منزله باحة للعلم والأدب والمعرفة حتى وفاته، ولقد امتاز بذاكرة قوية وفكر ثاقب رغم تقدمه في العمر.

بدأ الشاعر محمد عثمان عبدالرحيم، في قرض الشعر مبكراً هو وشقيقه الراحل علي عبدالرحيم الذي خلف ديوان شعر باسم «القبس الأول»، وعمل في عدة وظائف بعد تخرجه في كلية غردون التي كانت تمثل منارة العلم وذروته في ذلك الوقت، فعمل معلماً بمدرسة الشيخ بابكر بدري لعامين، ثم محاسباً في سكك حديد السودان بمدينة عطبرة التي تعتبر من أشهر قلاع النضال الوطني في ذلك الوقت، وعمل في كلية الأحفاد ومديراً لمطابع النيل الأزرق بود مدني، ومحاسباً بوزارة الري وبمطاحن غلال مدني، غير ان وظيفته الإبداعية في كتابة الشعر هي التي كتبت له الخلود في سجل مبدعي السودان [3]. ولم ينف (محمد عثمان) علاقته بالشعر مبكراً، ولكنه يؤكد أن اتجاهه كان نضالياً خالصاً، خاصة عندما التحق بكلية غردون التذكارية ما بين 1928 - 1931م

لدراسة المحاسبة التي ختم سنواته الدراسية بها بالمشاركة في الإضراب الشهير الذي نظمه طلاب الكلية في العام1931م، احتجاجاً على تخفيض مرتبات الخريجين عقب الأزمة الاقتصادية التي تلت الحرب العالمية بسبب قرار حكومة الاستعمار الذي قضى بتخفيض مرتبات الموظفين بتوصية من الإدارة الأهلية، وقد اشترك في تنظيمه طلاب السنة النهائية من طلاب الهندسة والمحاسبة والكتبة[4].

لعب الشاعر محمد عثمان عبدالرحيم دورا كبيرا في التعريف بالشعر السوداني عبر النشر في دوريات مصرية ولبنانية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، وكان من أوائل دواوينه الشعرية «رياض الأدب» الذي صدر عام 1947م في القاهرة وقدمه الشاعر إبراهيم ناجي . وله من الدواوين الشعرية الأخرى، ديوان: «ومضات فكر» صدر عام 2005م، وديوان: «وقفات على مدارج الاستقلال» عام 2007م، وشهد العام 2011م طباعة آخر دواوينه الذي جاء بعنوان «في ميزان قيم الرجال» وإذا كان الديوان الأول طُبع في القاهرة، فان العاصمة القطرية الدوحة شهدت ميلاد الديوان الأخير[5].

يُعد الشاعر محمد عثمان عبدالرحيم من الشعراء السودانيين الذين ارتبط إبداعهم الشعري بالهمّ الوطني والإنساني، وقد تميّز شعره بالصدق العاطفي، والالتزام بقضايا الوطن، والقدرة على التعبير عن معاناة الإنسان السوداني وآماله. وقد شكّل الوطن محوراً مركزياً في تجربته الشعرية، فغدا شعره سجلاً وجدانياً للتحولات الوطنية والاجتماعية. وقد أحرز عددا من الجوائز منها: الجائزة الثانية في مسابقة الإذاعة البريطانية عام 1940، وجائزة المهرجان الأدبي الرابع الذي أقيم بمدينة الأبيض عام1944م . واشترك في مهرجان الإبداع الثقافي في مدينة ود مدني، وأحرز الوسام الذهبي والشهادة التقديرية والمرتبة الأولى في الشعر[6]. كما نال الجائزة الأولى في الشعر العربي الفصيح في المسابقة التي أعدتها اللجنة العليا لأعياد البلاد بالعيد الثاني لثورة الإنقاذ الوطني، وفاز بالمرتبة الأولى في الشعر في المسابقة التي أقيمت بمناسبة العيد الثالث لقوات الدفاع الشعبي[7]. وتم تكريمه بواسطة المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون بالخرطوم، وكرمه المشير عمر حسن البشير رئيس السودان الأسبق في مناسبة مؤتمر تطوير محافظة البطانة في يناير 1992م، وتم منحه الوسام الذهبي للآداب والعلوم والفنون من رئاسة الجمهورية في أعياد ثورة الإنقاذ السودان في السودان عام 2005م [8].

توفي شاعرنا محمد عثمان عبدالرحيم مساء يوم السبت 11 أكتوبر 2014م بمدينة رفاعة وذلك عن عمر بلغ المئة عام تماما حيث ولد في عام 1914م. وتم تشييع الشاعر يوم الأحد في مدينة رفاعة بحشد جماهيري كبير، شارك فيه مسؤولون من حكومة ولاية الجزيرة [9].

**مفهوم الوطن والوطنية:**

قال ابن منظور: الوطن (المنزل نقيم به؛ وهو موطن الإنسان، ومحله، يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي اتخذها محلاً، ومسكناً فيها)[10].وقال الزبيدي:»الوطن منزلا لإقامة الإنسان ومحله وجمعه ا أوطان»[11]. وفي معجم المصطلحات السياسية الدولية: «الوطن:هوالبلد الذي تسكنه أمة يشعرالمرء بارتباطه إليها « . وعندالرجوع إلى كتب المعاجم والموسوعات، نجد أنه لا اختلاف عن المعنى اللغوي للوطن بينها ، فتكاد جميعها تتفق في معنى الوطن . وتوصل الدكتور زيد عبدالكريم زيد، بعد الاطلاع على عدد من المعاجم والموسوعات إلى أن المراد من الوطن هو:

الوطـن الخـاص أيّ بلـد ألشـخص، ولادة ونشـأة، أونشـأة فقـط [12]. وانعكسـت حيـاة التنقـل والترحـال عـلى تعريـف الوطـن في المعاجـم العربيـة، فاسـتعملت كلـمات مثـل مربـط وحمـى ومنـزل، وغالبـا مـا جـاء ذكـر المنـازل أو الديـار في سـياق الرثـاء وعـدم قـدرة الشـاعر عـلى تمييـز أطـلال «وطنـه» في الصحـراء، أي منـازل قبيلتـه في وقـت مـن الأوقـات. كان امـرؤ القيـس الكنـدي أول مـن سـنَّ عـادة الوقـوف عـلى آثـار الديـار والمنـازل، وفي هـذ القصائـد مايحمـل البـذور الأساسـية لمفهـوم الوطن[13]. مثـلاً جـاء في مطلـع معلقتـه:

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل  بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ

ووردت كلمة وطن في شعر زامل بن عفير الطائي:

غير أن الأوطان تجتذب المرء  إليها الهوى وإن عاش كدا

كلهـا إشـارات إلى منـازل القبيلـة أو الحِمَـى، وهو المرعـى. ومـن الحِمَـى جائـت كلمـة حَميَّـة بمعنـى الغـيرة، الغضـب، أو الآنَفَـة. وأيضـاً وردت كلمـة "وطـن" في نصوص خـط المسـند، وجـاءت في لغة السـبئيين بمعنى حدود. كانـت إشـارة إلى حـدود محيطـة بـأي شيء مـن الهِجَـر -المـدن- إلى الحقـول.

ومـن المفاهيـم العامـة للوطـن المفهـوم العاطفـي (حـب الوطـن ) الـذي قـال عنـه الأصمعـي : «سـمعت أعرابيـاً يقـول:»إذا أردت أن تعـرف الرجـل فانظـر كيـف تحننـه إلى أوطانـه وتشـوقه إلى إخوانـه. وبـكاؤه عـلى مـا مـضى مـن زمانـه»[14]. وعـرف الجرجـاني الوطـن بقولـه: «الوطـن الأصـلي: هـو مولـد الرجـل، والبلـد الـذي هـو فيـه»[15].

وعـلى الرغـم مـن عـدم ذكـر لفظـة «الوطـن» بلفظـه هـذا إطلاقـاً في القـرآن الكريـم، إلا أنـه جـاء لفـظ الوطـن بصيغـة الجمـع في كتـاب اللـه تبـارك وتعـالى، وذلـك في قولـه تعـالى : {قَـدْ نَصَرَكُـمُ اللّـهُ فِي مَوَاطِـنَ كَثِـيرَةٍ وَيَـوْمَ حُنَـيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُـمْ كَثْرَتُكُـمْ فَلَـمْ تُغْـنِ عنكُـمْ شَـيْئاً وَضَاقَـتْ عَلَيْكُـمُ الأَرْضُ بِمَـا رَحُبَـتْ ثُـمَّ وَلَّيْتُـم مُّدْبِرِيـنَ} التوبـة: ٢٥.، قـال الشـوكاني : «المواطـن جمـع موطـن، ومواطـن الحـرب : مقاماتهـا، والمواطـن التـي نـصر اللـه المسـلمين فيهـا هـي: يـوم بـدر، ومـا بعـده مـن المواطـن التـي نـصر اللـه المسـلمين عـلى الكفـار فيهـا قبـل يـوم حنـين[16] ؛ ومنـه قـول الشـاعر:

نصروا نبيهم وشدّوا أزره[17]  بحنين يوم تواكل الأبطال

وقـد أحـاط الإسـلام بمفهـوم الوطـن إحاطـة شـاملة، وذلـك لأن الوطـن ذكـر في القـرآن الكريـم بألفـاظ عديـدة، ومتنوعـة، وكلهـا تـدل دلالـة واضحـة عـلى معنـى الوطـن. ويوضـح دكتورتامـر خـضر أنـه يمكـن إجـمال مـاورد في القـرآن الكريـم مـن الدلالـة عـلى معنـى الوطـن بأسـلوبين[18]: الأول: أسـلوب الدلالـة، والثـاني: أسـلوب الإشـارة؛ أمـا الأسـلوب الـدلالي فـورد بالتصريـح بلفـظ دال عـلى معنـى الوطـن، ولـه أمثلـة عديـدة منهـا: لفـظ: «الـدار» ومشـتقاته: «الديـار، ديارنـا، ديارهـم، دارهـم، وداره، داركـم»، وقـد ورد هـذا اللفـظ في كتابـا للـه، في مواضـع كثـيرة، تـدل عـلى معنـى الوطـن حقيقـة؛ قـال سـبحانه في حـق الصحابـة، رضـوان اللـه عليهـم، حينـما أخرجـوا مـن ديـاره مـن غـير حـق: {لِلْفُقَـرَاء الْمُهَاجِرِيـنَ الَّذِيـنَ أُخْرِجُـوا مِـن دِيارِهِـمْ وَأَمْوَالِهِـمْ يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مِّـنَ اللَّـهِ وَرِضْوَانـاً} الحـشر:8.، ووردلفـظ: «الأرض» والمـراد الوطـن، ومنـه قولـه تعـالى في حـق سـيدنا مـوسى عليـه السـلام عـلى لسـان فرعـون {يُرِيـدُ أَن يُخْرِجَكُـم مِّـنْ أَرْضِكُـمْ فَـمَاذَا تَأْمُـرُونَ } الأعـراف: 110، وورد لفـظ: «البلـد» ويـراد بـه الوطـن، قـال سـبحانه: {وَإِذْ قَـالَ إِبْرَاهِيـمُ رَبِّ اجْعَـلْ هَـذَا الْبَلَـدَ آمِنـاً وَاجْنُبْنِـي وَبَنِـيَّ أَن نَّعْبُـدَ الأَصْنَـامَ } إبراهيـم:35.

وورد لفظ: «القرية»، ويراد بها الوطن، ودائما ما وقع هذا لأنبياء الله وأتباعهم، فدائما ما كان الصد والعنت والإخراج من الأرض هو مايلقونه من أقوامهم، قال تعالى: {وَمَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } الأعراف: 82.

الوطن إذن، هو الجواب على السؤال: إلى أين أنتمي؟. وفقا لهذا، فإن الدولة والأمة والشعب، في أي بلد، تتكون من عضوية جميع السكان والأشخاص الذين يعيشون ويتحملون بناءً على النظرة العامة للظروف الفعلية المسؤولية المتبادلة، هؤلاء يسمون مواطنين، تجمعهم الخصائص الموضوعية لفهم وفحص مستهدف للوطن مثل: النسب للبلد والأرض والحكم والتعبير السياسي في الحقوق المدنية مع الإحساس الذاتي بالمجتمع بطريقة نموذجية. بناءً على ذلك، يعد ترسيم السكان الأصليين أحد مصادر "الهوية الوطنية" [19]. وتشير كثيرمن الدراسات الأكاديمية إلى أن مفهوم أو مصطلح الوطن، يجمع العوامل (الجغرافية، والسوسيولوجية والفلسفية والدينية والأنثروبولوجية والنفسية والقانونية). وفي الاستخدام العام، ينطبق على المكان الذي يولد فيه الشخص والذي تحدث فيه التجارب المبكرة للتنشئة الاجتماعية، والتي تشكل البداية للهوية والشخصية ونمو العقلانية والمواقف ووجهات النظر[20]. ويشتق مصطلح الوطنية من كلمة «وطن»، وتعرف الوطنية بأنها: «التعلق العاطفي والولاء والانتساب لأمة محددة أو منطقة جغرافية بصفة خاصة واستثنائية عن الأمم والمناطق الأخرى. والشخص الوطني هو شخص يحب بلده ويدعم سلطته ويصون مصالحها. وتتضمن الوطنية مجموعة مفاهيم ومدارك وثيقة الصلة بالقومية مثل الارتباط والانتماء والتضامن، لأن واقع الحال يفيد بأن المصالح ملك للأمة التي تُعَرِّفُ الدولة بعلامات وملامح إثنية، وثقافية، وسياسية، وتاريخية مميزة. تُستخدم الوطنية والقومية بشكلٍ متعارضٍ في كثيرٍ من الأحيان، وإن أمكن التمييز بينهما نظريًا» [21]. يقول محمد محمد حسين: «الوطنية مفهومٌ أخلاقيٌ وأحد أوجه الإيثار لدفعها المواطنين إلى التضحية براحتهم، وربما بحياتهم من أجل بلادهم. ويرى د. شادي نجيب أنه يجب التمييز بين الوطنية والمواطنة. فالمواطنة هي مجموعة الحقوق والواجبات التي تترتب على الفرد كونه يعيش في دولة ما وعليه ليس بالضرورة كل من ينطبق عليه لفظ مواطن أن يكون وطنيا»[22]. والشعر الوطني هو ذلك اللون من الشعر الذي يتخذ من الوطن وقضاياه محوراً رئيساً، ويعبّر عن مشاعر الانتماء، والدفاع عن الأرض، ومقاومة الاستعمار والظلم، والدعوة إلى الحرية والعدالة. وهو لا يقتصر على الخطاب الحماسي، بل يشمل البعد الوجداني والفكري والإنساني. والحديث عن الشعر الوطني في السودان هو الحديث عن الشعر المقاوم للنظام الاستعماري ، وهو الاتجاه الذي تتجه إليه الأنظار كلما جاء الحديث عن الشعر الوطني [23]). ويتميز الشعر الوطني عموماً بأسلوبه الحماسي ولغته القوية وصوره الحية، مما يوقظ مشاعر الحب والاعتزاز بالوطن في نفوس المواطنين، وهو من أهم أنواع الشعر في تاريخ الأدب العربي، إذ كان له دور مهم في تعزيز الوعي الوطني لدى الشعوب العربية وحثها على النضال من أجل الحرية والاستقلال. يقول الشاعر السوري نظام الدين عيد:

أقولُ لها والحادثاتُ نوازلٌ  ستبقى بلادي شامةَ العِزِّ والفخرِ

ومما قيل في الحنين إلى الأوطان، ما ورد في ديوان ابن الرومي:

وحبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ  مآربُ قضاها الشبابُ هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم  عهود الصّبا فيها فحنوا لذلكا

وقد احتلّ الشعر الوطني في السودان مكانة بارزة في الأدب العربي الحديث، بوصفه تعبيراً

عـن وعـي الشـاعر بقضايـا أمتـه، وتفاعلـه مـع واقعـه السـياسي والاجتماعـي، وقـد كان السـودان – بمـا شـهده مـن اسـتعمار، وكفـاح وطنـي، وتحـولات مـا بعـد الاسـتقلال – بيئـة خصبـة لنشـوء شـعر وطنـي متوهـج، حمـل همـوم الأرض والإنسـان، وعـبّر عـن تطلعـات الشـعب إلى الحريـة والكرامـة. ويـأتي الشـاعر محمـد عبـد الرحيـم عثـمان في هـذا السـياق بوصفـه صوتـاً شـعرياً صادقـاً، لم ينفصـل شـعره عـن قضايـا وطنـه، بـل جعـل مـن القصيـدة منـبراً للوعـي، وأداة للمقاومـة، وفضـاءً للاعتـزاز بالهويـة السـودانية.

المضامين الوطنية في شعر محمد عبد الرحيم عثمان من خلال قصيدته «أنا سوداني»:

عندمـا أراد المسـتعمر طمـس هويـة السـودان وتقسـيم البـلاد إلى إثنيـات تتحـدث عـن القبيلـة والقبليـة أكـثر مـن الوطـن الأم ، انـبرى شـاعرنا الأسـتاذ محمـد عثـمان عبدالرحيـم و أطلـق صيحتـه الأولى في قصيدتـه الشـهيرة "أنـا سـوداني" عـام 1947 والتـي جسـد فيهـا هويـة السـودان ووحدتـه. وتمثـل القصيـدة نموذجًـا رفيعًـا للشـعر الوطنـي الـذي يجسـد حـب الوطـن والتعلـق بـه والتضحيـة مـن أجلـه:

| | |
|---|---|
| لـو هجرنـاه فالقلـوب بـه | ولهـا في ربوعـه سـكن |
| حيـث كنـا حـدت بنـا ذكـر | ملؤهـا الشـوق كلنـا شـجن |
| نتمـلى جـــــماله لـنرى | هـل لترفيـه عيشـه ثمـن |
| خـير هـذي الدمـاء نبذلهـا | كالفـدائي حـين يمتحـن |
| بسـخاء بجـرأة بـــــقوى | لا ينـي جهدهـا ولا تهـن |
| تسـتهين الخطـوب عـن جلـد | تلـك تنهـال وهـي تتـزن |
| أيهـا النـاس نحـن مـن نفـر | عمـروا الأرض حيث ما قطنوا |
| يذكـر المجـد كلـما ذكـروا | وهـــــو يعتـز حين يقترن |
| حكمـوا العدل في الـورى زمنا | أتـرى هـل يعـود ذا الزمـن |
| ردد الدهـر حسـن سـيرتهم | مـا بـــــها حطـة ولا درن |
| نزحـوا لا ليظلمـوا أحـدا لا | ولا لإضطهـاد مـــــن امنـوا |
| وكثـيرون في صدورهـم | تتنـزى الأحقاد والإحـــــن |
| دوحـة العـرب أصلهـا كـرم | والى العـرب تنسـب الفطـن |
| أيقـظ الدهـر بينـــــهم فتنا | ولكـم أفنـت الـــورى الفـتن |
| يـا بـلادا حـــــوت مآثرنـا | كالفراديـس فيضهـا مـــنن |
| فجـر النيـل فـــي أباطحهـا | يكفـل العيـش وهـي تحتضن |
| رقصـت تلكـم الريـاض لـه | وتثنـت غصـــــونها اللـدن |
| وتغنـى هزارهـا فـــــرحا | كعشـوق حدا بـــه الشـجن |
| حفـل الشـيب والشـباب معا | وبتقديسـه القمـــين عنـوا |
| نحـن بالـروح للسـودان فـدا | فلتدم أنت أيـــــها الوطن[٢٤] |

نلاحظ أن القصيدة تُجسّد رؤية شاملة للوطنية السودانية،تربط بين حب الأرض، والتاريخ المجيد، والقيم النبيلة، والاستعداد للتضحية. كما تُبرز دور الطبيعة (النيل) والهوية العربية في تشكيل الشخصية السودانية. الشاعر يقدّم الوطن ليس ككيان جغرافي فقط، بل كمشروع حضاري يقوم على العدل والتسامح والجمال؛ ويمكن أن نستخلص عدد من المضامين الوطنية منها:

**1. الانتماء والافتخار بالوطن:**

قوله: «كُلّ أجزائه لنا وطن / إذ نباهي به ونفتتن». يُظهر هذا البيت أن الوطن بكامل أجزائه وجغرافيته هو ملكٌ لجميع أبنائه، ويُفاخرون به ويُعجبون بجماله. ونلاحظ هنا أن الانتماء ليس مجرد شعور عابر، بل هو فخر دائم وافتتان بجمال الوطن وترابه. وعلى هذا الأساس تقوم القصيدة على تأكيد وحدة السودان الجغرافية، في مواجهة النزعات القبلية والإثنية التي غذّاها الاستعمار، لذلك استخدم الشاعر صيغة العموم «كلّ أجزائه» ليُسقط أيّ تمييز مكاني أو عرقي، ويؤكد أن الوطن ملكية جمعية لا تقبل القسمة

**2. جمال الوطن وسرّ الانجذاب إليه:**

قوله: «نتغنّى بحسنه أبدا / دونه لا يروقنا حسن». يرى الشاعر أن جمال الوطن لا يُضاهى، وأن كل جمال آخر يفقد قيمته إذا قورن به؛ فالوطن هو المعيار الجمالي والأخلاقي، وهو مركز الإشعاع الذي يُقيم به كل شيء؛ فالشاعرهنا لا ينظر إلى الوطن بوصفه مكانًا فحسب، بل باعتباره قيمة جمالية تعلو على كل جمال.

**3. الوحدة الوطنية والتلاحم:**

قوله: «حيث كنا حدت بنا ذكر / ملئها الشوق كلّنا أمن». الذكرى المشتركة والشوق الجماعي يجعلان من الشعب كتلة واحدة يشعر أفرادها بالأمان؛ فالوحدة ليست جغرافية فقط، بل هي ذاكرة جماعية ومشاعر مشتركة تُشكل الهوية الوطنية، ويربط الشاعر الوطن بالذاكرة والحنين، مؤكدًا أن الانتماء لا يزول بالاغتراب أو البعد عنه، لأن الحنين هنا جمعي، لا فردي، وهو ما يمنح النص طابعًا قوميًّا.

**4. التضحية والفداء:**

قوله: «غير هذي الدماء نبذلها / كالفدائي حين يمتحن». يعلن الشاعر استعداد أبناء الوطن للتضحية بأرواحهم دفاعًا عنه، كالفدائيين في أوقات الاختبار؛ فالتضحية بالدم هي أقصى درجات الانتماء، وهي سمة الشعب الأصيل حين يتعرض وطنهُ للخطر. وهذه تعد من أبرز المضامين الوطنية في القصيدة، فتمجيد التضحية بالدم دفاعًا عن الوطن واجب شرعي وأخلاقي، لا بوصفه تهورًا أو انتحاراً.

**5. الصمود أمام التحديات:**

قوله: «تستهين الخطوب عن جلد / تلك تنهال وهي تتزن». يصوّر الشعب كالجبل الراسخ الذي لا تهزّه العواصف، بل يتلقاها بثبات واتزان؛ فالقوة ليست في عدم مواجهة الصعوبات، بل في الثبات والتوازن رغم شدتها.

**6. الإشادة بتاريخ الأجداد وإنجازاتهم:**

قولـه: «أيهـا النـاس نحـن مـن نفـر / عمّـروا الأرض حيثـما قطنـوا»· يؤكـد الشـاعر أن الشـعب السـوداني مـن نسـل بنـاة حضـارات، عمّـروا الأرض أينـما حلّـوا؛ فـإن التاريـخ المجيـد مصـدر فخـر ودافـع لمواصلـة البنـاء والحفـاظ عـلى المـيراث الحضـاري. وهنـا يربـط الشـاعر الحـاضر السـوداني بمـاضٍ حضـاري قائـم عـلى العـدل والعمـران؛ ويسـتحضر المـاضي لا للتغنـي بـه، بـل لمسـاءلة الحـاضر.

**7. العدل كقيمة وطنية عليا:**

قولـه: «حكّمـوا العـدل في الـورى زمنـا / أتـرى هـل يعـود ذا الزمـن» · يتطلـع الشـاعر إلى عـودة عهـد العـدل الـذي كان سـائدًا في تاريـخ السـودان؛ فالعـدل ليـس مجـرد حكـم، بـل هـو قيمـة حضاريـة وهـدف وطنـي يتطلـع إليـه الشـعب.

**8. التسامح ونبذ الأحقاد:**

قولـه: «نزحـوا لا ليظلمـوا أحـدا / لا، ولا لاضطهـاد مـن أمنـوا» · يؤكـد أن الهجـرات والنـزوح في تاريـخ السـودان لم تكـن لغـرض الظلـم، بـل للبنـاء والتعايـش؛ وهـذا هـو مبـدأ الوطنيـة الحقيقيـة التـي تقـوم عـلى التسـامح ورفـض الظلـم والاضطهـاد. ونلاحـظ هنـا أن الشـاعر يديـن الظلـم والفـتن التـي تمـزق المجتمعـات، في إشـارة ضمنيـة إلى سياسـات الاسـتعمار.

**9. الانتماء العربي والأصالة:**

قولـه: «دوحـة العـرب أصلهـا كـرم / وإلى العـرب تنسـب الفطـن»· يُـبرز الشـاعر الانتـماء العـربي للسـودان، معتـبرًا أن الكـرم والـذكاء مـن صفـات هـذه الدوحـة؛ فالهويـة العربيـة جـزء أسـاسي مـن الهويـة السـودانية، وهـي مصـدر فخـر وقيـم إيجابيـة.

**10. دور النيل كرمز للحياة والخصب:**

قولـه: «قـد جـرى النيـل في أباطحهـا / يكفـل العيـش وهـي تحتضـن» · النيـل ليـس مجـرد نهـر، بـل هـو شريـان الحيـاة الـذي يضمـن العيـش ويمنـح الخصوبـة، وهكـذا ظـل النيـل رمـزاً للعطـاء والاسـتمرارية، وهـو جـزء لا يتجـزأ مـن الذاكـرة الوطنيـة السـودانية.

**11. التلاحم بين الأجيال:**

قولـه: «حفـل الشـيب والشـباب معـا / وبتقديسـك القمـين عُنـوا»· الكبـار والصغـار يتحـدون في حـب الوطـن وتقديسـه، وبتقـير مسـتحق ؛ ومـن هنـا نفهـم أن الوطنيـة ليسـت حكـرًا عـلى جيـل دون آخـر، بـل هـي قضيـة مشـتركة بـين جميـع الأجيـال.

**12. الوطن كفردوس ونعمة:**

قولـه: «يـا بـلادا حـوت مآثرنـا / كالفراديـس فيضهـا منـن» · يشـبه الشـاعر وطنـه بالجنـة لِـما يحتويـه مـن منـن ونعـم، وأن الوطـن هـو النعمـة الكـبرى التـي تجمـع بـين الجـمال المـادي والمعنـوي.

**13. التضحية والوفاء:**

قولـه: «نحـن بالـروح للسـودان فـدى / فلتـدم أنـت أيّهـا الوطـن»· يختـم الشـاعر بتقديـم روحـه فـداء للوطـن، ويدعـو لـه بالـدوام والبقـاء، وهـذه هـي ذروة التعبـير عـن الحـب الوطنـي، حيـث تكـون التضحيـة بالـروح هـي أقـصى درجـات الوفـاء.

إن القصيدة في مجملها تقدّم نموذجًا مكتملًا للشعر الوطني، إذ جمعت بين:

- وحدة الوطن.
- عمق الانتماء.
- روح التضحية.
- البعد الحضاري.
- جمال الطبيعة.

استطاع شاعرنا محمد عثمان عبد الرحيم أن يحوّل القصيدة إلى بيان وطني شعري، يقف في مصاف النصوص الكبرى في الأدب العربي، ويجعل من السودان فكرةً خالدة، لا مجرد جغرافيا. ومازالت قصيدة «أنا سوداني» تمثل دفعة وطنية صادقة لكل سوداني غيور، وما زال يرددها الشيب والشباب وقد زادها قوة على قوة كلماتها الفنان الشاعر / حسن خليفة العطبرواي الذي لحنها وتغني بها بصوته المميز القوي . وفي لقاء تلفزيزني بقناة الشروق السودانية 2010م قال الشاعر محمد عثمان عبدالرحيم عن نشيد «سوداني»: « إن هذا النشيد تظهر فيه ملامح العالم العربي «() . لقاء بقناة ....

تميز الشاعر الأستاذ محمد عثمان عبدالرحيم بشاعرية كبيرة، وظفها في خدمة القضايا الوطنية السودانية - كما لاحظنا من خلال قصيدته «أنا سوداني» - ، كما له أشعار كثيرة عن قضايا الامة العربية؛ إذ شكلت القضية الفلسطينية محورا مركزيا في دواوينه الشعرية، ونادى بالوحدة العربية الشاملة، يقول في قصيدته "نداء للوحدة العربية":

لمن يا تراني أزف النداء  وفي نسق هادئ متزن
لشعب العراق الذي لم يزل  يشيد المرافق فوق الدمن
إلى شعراء العراق الشقيق  لإخوتنا في بلاد اليمن
لأبناء صنعاء الرابطين يزودون عن مجدنا في عدن
إلى الثائرين بأرض الشآم  للبنان مذ فرقتها الفتن
إلى الشعب شعب الجهاد المرير بأرض فلسطين عبر الزمن[25]

و من خلال قصيدته "بطاقتي" لخص الشاعر الأستاذ محمد عثمان عبدالرحيم شخصيته ومزاياها ونضاله ووطنه الصغير رفاعة ، حيث قال فيها:

أنا شاعر لم يجر خلف مطامع  يجري ويلهث خلفها شعراء
أنا من رفاعة من صميم ترابها  يغري انتباهي طينها والماء
وحدائق غناء آتت أكلها  وبراعم وازاهر وارواء
الزائدون عن التراب بوثبة  شماء تلثم رأسها الجوزاء
الصابرون على البلاء لأنهم  رغم الضياع عزيمة ومضاء
الضاربون الأُسد في هاماتها  لما تخيل أنهم جبناء[26]

وقد وضح شاعرنا أهداف ومرامي شعره واتجاهاته من خلال قصيدته "شعري" ، فقال :

شعري اردت له الحياة فرامها  حراً ولم يذعن لها إطلاقاً

من شعلة الإلهام يخطر ثائراً  برماً يزمجر كالرصاص سباقاً
من أجله عجم النكال صلابتي  فـــارتد حيث تعـــلم الإخفاقا
قد صغته في الحادثات ملاحماً  ولدى السلام نظمته أطواقاً
وعليه فهو يسير في أخلاقه  يحمي التراث ويحفظ الأخلاقا[27]

وشاعرنا لم يكن شاعراً مقاوماً وحسب بل كان رقيق القلب، رهيف الحس، « يطأ الثري زهواً ويستهوى الحسان تبخترا « بالتأكيد هذا عندما كان في ريعان الشباب وعنفوانه ().  ومن ذلك قصيدته  الرشيقة النداما التي مطلعها:

أدر الكأس على العشاق صفوا ومداما
ياحبيب القلب  والروح  وياروح النداما
أيها  الرافل في  ثوب من الحسن دواما
ماست الأغصان لما عشقت منك القواما[28]

يقول محمد عبدالباقي: « بقيت أشعار محمد عثمان عبدالرحيم طي الأوراق ولم يخرج للناس منها غير أغنيتي، (النداما) و(أنا سوداني)، فالأولى غناها (الخير عثمان) والثانية (حسن خليفة العطبراوي)، ولولا هذين العملين لما عرف (محمد عثمان عبدالرحيم) كشاعر غنائي ولبقى شعره الذي غلب عليه الطابع الثوري في دواوينه العديد بعيداً عن الأسماع، وهذا ما كان يطمح فيه ولكن كان صوت العطبراوي أقوى من صمته، فذاع اسمه وتردد في الأصقاع موقعاً على صدر أنا سوداني»[29].

**الخصائص الفنية في شعر محمد عثمان عبدالرحيم:**

تُعد القصائد الوطنية والقومية للشاعر محمد عثمان عبدالرحيم، ومن ضمنها قصيدة «أنا سوداني» نموذجاً حياً للأدب الوطني الذي يمزج بين الجزالة الكلاسيكية والروح الثورية الحديثة. ويمثل شعر محمد عثمان عبد الرحيم أحد النماذج البارزة للشعر الوطني السوداني في النصف الأول من القرن العشرين، حيث اقترن الإبداع الشعري لديه بالوعي الوطني والوظيفة الثقافية للنص. وتُعدّ قصيدته «أنا سوداني» من أهم نصوصه وأكثرها ذيوعًا، لما تحمله من كثافة فنية وقدرة تعبيرية جعلتها تتجاوز سياقها التاريخي لتغدو نصًّا مؤسسًا للوجدان الوطني؛ وقد تميزت القصيدة بتنوع أساليبها وخصائصها الفنية وذلك خدمة لمضمون القصيدة الوطني.

**1. البنية الإيقاعية والموسيقية:**

اعتمد الشاعر في هذه القصيدة على بحر شعري يمتاز بالرشاقة، مما يجعله ملائماً للأناشيد الوطنية التي تستهدف الوجدان الجمعي وسهولة الحفظ والترديد. ويُعدّ الإيقاع من أهم الخصائص الفنية في القصيدة، إذ نظمت على بحرٍ خليليٍّ منتظم، ما أضفى عليها نغمة إنشادية واضحة، وسهّل تلحينها وترديدها جماهيريًا.

التزام القافية الموحدة  يعطي رنيناً صوتياً يوحي بالاستقرار والثبات، وهو ما يتسق مع فكرة رسوخ الوطن. تظهر في تكرار بعض الحروف (الهمس والجهر) والتوازي اللفظي في أبيات مثل: «بسخاءٍ بجرأةٍ بقوىً»، حيث يخلق التتابع الصرفي إيقاعاً حماسياً متصاعداً.

**2. النزعة البيانية (الصورة الشعرية):**

لم يكتفِ الشاعر بالتقريرية المباشرة، بل وظّف الصورة الفنية لتعميق المعنى الوطني، من خلال:

- التشخيص: في قوله «رقصت تلكم الرياض له»، «تثنّت غصونها»، «تغنّى هزارها». هنا يتحول الوطن من حيز جغرافي صامت إلى كائن حي يشارك الإنسان مشاعره وفرحه بالحرية.
- الاستعارة: رسم الشاعر لوحة متكاملة للسودان (النيل، الأباطح، الرياض، الشيب، الشباب)، وهي صورة تجمع بين عناصر الطبيعة وعناصر المجتمع لإنتاج مفهوم «الوطن الأم».
- التشبيه: «كالفدائي حين يمتحن»، تشبيه يربط بين الفعل المادي (بذل الدم) والحالة المعنوية (الاختبار القيمي)، مما يرفع من قدسية النضال.

**3. الجزالة اللغوية والمتانة الأسلوبية:**

كان شاعرنا محمد عثمان عبدالرحيم على وعي كبير بطبيعة اللغة وأهميتها بوصفها الأداة الممتازة في نقل شعوره وإحساسيه الثورية تجاه الوطن، ولما كانت مذاهب الشعراء السودانيين متباينة واتجاهاتهم الفكرية مختلفة؛ فمن الطبيعي بمكان أن نجد تفاوتا في اللغة - مادة الشعر - وفي الأسلوب - أداة تبليغ الخطاب الفني - [30]. وتمتاز لغة الشاعر بأنها لغة «إحيائية» تعيد الاعتبار للمفردة العربية القوية (الأصيلة) مع تكييفها لخدمة قضايا العصر، استخدام كلمات مثل (الأباطح، الورى، الإحن، الدوّحة، اللدن) يربط القصيدة بجذور الأدب العربي القديم، مما يمنح المضمون الوطني هيبة تاريخية. كما تمتاز لغته أيضا بفصاحة واضحة وبساطة غير مخلّة؛ فهي لغة قريبة من المتلقي، لكنها محافظة على جزالة الشعر العربي ووقاره.

راوح الشاعر بين الإخبار للتقرير («كل أجزائه لنا وطن») والإنشاء للتحفيز والتساؤل الاستنكاري («أترى هل يعود ذا الزمن؟»)، وهذا التنوع يكسر الرتابة ويجذب انتباه المتلقي.

**4. البعد التاريخي والرمزي (التناص القيمي):**

تتجلى في القصيدة خاصية «الاستدعاء التاريخي» ليس كفخر بالماضي فحسب، بل كمنطلق للحاضر:

- صورة العربي المثالي: استدعى الشاعر قيم «العدل، الإعمار، عدم الظلم» كمرتكزات للهوية السودانية، وهو ما يُعرف في النقد بـ «أنسنة الفخر»، أي الافتخار بالقيم الأخلاقية لا بالقوة العسكرية المجردة.
- رمزية النيل: لا يظهر النيل كمرادف للزراعة فقط، بل كرمز للوحدة الوطنية («يكفل العيش وهي تحتضن»)، مما يجعله رابطاً وجودياً بين الأرض والإنسان.

**5. الوحدة العضوية والموضوعية:**

على خلاف القصيدة العربية القديمة التي قد تتعدد أغراضها، نجد في قصيدة «أنا سوداني» وحدة موضوعية صارمة؛ فكل بيت يخدم الفكرة المركزية (تمجيد الوطن والاعتزاز بالهوية). ونلاحظ التسلسل المنطقي للنص يبدأ بالانتماء الجغرافي، ثم انتقل إلى ضريبة هذا الانتماء (الدم)، ثم

الفخر بالأصل التاريخي، وصولاً إلى وصف الطبيعة، وختاماً بإعلان الفداء الروحي. هذا التسلسل يجعل القصيدة بناءً هندسياً متكاملاً.

تتمثل القيمة الفنية لقصيدة محمد عثمان عبد الرحيم في قدرتها على صهر الذات الفردية في الذات الجماعية من خلال لغة تجمع بين «فخامة التراث» و«حداثة المقصد». إنها قصيدة تعتمد السهل الممتنع، حيث تصل الرسالة الوطنية بيسر دون الإخلال بالشرط الجمالي للشعر العربي العمودي.

**6.وضوح الرؤية وصدق التجربة الشعورية:**

من أبرز الخصائص الفنية في شعر محمد عثمان عبد الرحيم وضوح الرؤية الفكرية وصدق التجربة الوجدانية؛ فالشاعر لا يتحدث عن الوطن بوصفه فكرة مجرّدة، بل بوصفه معايشة شعورية نابعة من انتماء عميق. يتجلّى ذلك في قوله: كلّ أجزائه لنا وطن إذ نباهي به ونفتتن

فالرؤية هنا مباشرة، غير ملتبسة، لكنها في الوقت ذاته مشحونة بعاطفة صادقة، وهو ما يُكسب النص قوة تأثيرية عالية. ويؤكد هذا الصدق تكرار ضمير الجماعة («لنا»، «نباهي»، «نفتتن») بما يحوّل التجربة من ذاتية إلى تجربة جمعية. عموماً تتسم القصيدة بحضور طاغٍ لضمير الجماعة، وهو مظهر فني دال على تحوّل الذات الشاعرة إلى صوت جماعي. فالشاعر يذيب «الأنا» الفردية في «نحن» الوطنية، وهو سمة بارزة في الشعر الوطني القومي، من ذلك قوله: أيّها الناس نحن من نفر عمّروا الأرض حيثما قطنوا

**7. توظيف الطبيعة في بناء الرمز الوطني:**

من الخصائص الفنية البارزة حضور الطبيعة بوصفها عنصرًا بنائيًا في تشكيل الهوية الوطنية، لا مجرد خلفية وصفية. يقول الشاعر: رقصت تلكم الرياض له وتثنّت غصونها اللدن

فالرياض والنيل والهزار تتحول إلى رموز للخصب والاستمرار والحياة، وهو توظيف رمزي ينسجم مع تقاليد الشعر العربي الحديث، حيث تُستثمر الطبيعة لتكثيف الدلالة الوطنية.

**خاتمة:**

خلص البحث إلى أن شعر محمد عثمان عبد الرحيم يُمثّل نموذجاً أصيلاً للشعر الوطني السوداني، حيث تداخلت فيه القيم الوطنية مع البعد الإنساني، فجاءت القصيدة أداة تعبير عن هموم الوطن، ووسيلة لبث الوعي، ومنبراً للدفاع عن الحرية والكرامة. وقد أسهمت الخصائص الفنية والوجدانية في ترسيخ الخطاب الوطني في تجربته الشعرية، مما يجعل شعره جديراً بمزيد من الدراسة والاهتمام.

**النتائج:**

1. أظهرت الدراسة أن قصيدة «أنا سوداني» تقوم على رؤية وطنية شاملة، تُعلي من شأن وحدة السودان الجغرافية والإنسانية، وتُقصي النزعات القبلية والإثنية، وقد تجلّى ذلك فنيًا عبر هيمنة ضمير الجماعة وتكرار مفردات الانتماء الجمعي.
2. كشفت القصيدة عن قدرة محمد عثمان عبد الرحيم على تجاوز الذات الفردية لصالح ذات وطنية جامعة، وهو ما منح النص طابعًا إنشاديًا تعبويًا دون الإخلال بشاعريته.
3. خلدت أشعار محمد عثمان عبدالرحيم العديد من البطولات الوطنية التي شكلت مصدراً للفخر

والاعتـزاز للمواطنـين السـودانيين.

4. أثبـت التحليـل أن الصـورة الفنيـة في القصيـدة لم تكـن زخرفًـا لغويًـا، بـل أداة دلاليـة أسـهمت في ترسـيخ المعنـى الوطنـي، ولا سـيما مـن خـلال تشـخيص الطبيعـة (النيـل، الريـاض، الهـزار) وتحويلهـا إلى رمـوز للحيـاة والانتـماء والاستمرار.
5. بيّنـت الدراسـة أن الشـاعر حافـظ عـلى تـوازن دقيـق بـين الوضـوح الخطـابي الـلازم للشـعر الوطنـي، وبـين الحفـاظ عـلى القيمـة الفنيـة، مـما جنّـب النـص الوقـوع في التقريريـة.
6. كشـفت القصيـدة عـن وعـيٍ تاريخـي عميـق، حيـث تفاعلـت الخصائـص الفنيـة مـع ظـرف الاسـتعمار، فغـدت اللغـة والصـورة والإيقـاع أدوات مقاومـة ثقافيـة، لا مجـرد عنـاصر جماليـة منفصلـة.
7. خلصـت الدراسـة إلى أن «أنـا سـوداني» تجـاوزت كونهـا نصًـا أدبيًـا لتـؤدي وظيفـة ثقافيـة واجتماعيـة، أسـهمت في بنـاء الوعـي الوطنـي وترسـيخ قيـم التضحيـة والانتـماء.

## التوصيات:

1. ضرورة إدراج قصيدة «أنا سوداني» ضمن مناهج الأدب السوداني والعربي.
2. إعطاء هذه القصيدة موقعًا مركزيًا في مقررات الأدب الوطني، لما تحمله من قيمة فنية وتاريخية وتربوية.
3. توسيع دائرة البحث في الشعر الوطني السوداني.
4. إنجـاز دراسـات مقارنـة بـين شـعر محمـد عثـمان عبـد الرحيـم وشـعراء الوطـن العـربي في مرحلـة التحـرر الوطنـي، للكشـف عـن الخصائـص المشـتركة والفـروق الأسـلوبية.

## الهوامش:

(1)بروف محمد عبدالله سليمان: رحيل شاعر، صحيفة اللغة العربية الإلكترونية، الأردن، 2014م.

(2)المرجع السابق.

(3)صلاح الدين مصطفى: صحيفة القدس العربي: رحيل الشاعر السوداني محمد عثمان عبد الرحيم، نسخة محفوظة 19-07-2020

(4)محمد عبدالباقي: الشاعر الغاضب محمدعثمان عبدالرحيم، صحيفة اليوم التالي، 27 سبتمبر 2014م.

(5)صلاح التوم إبراهيم: رموز وطنية سودانية، قراءات ودراسات، المجلة الثقافية الجزائرية، 2024م

(6)صلاح الدين مصطفى: صحيفة القدس العربي: رحيل الشاعر السوداني محمد عثمان عبد الرحيم، نسخة محفوظة 19-07-2020.

(7)المرجع السابق.

(8)جريدة الرائد : رحيل الشاعر السوداني محمدعثمان عبدالرحيم، 13 اكتوبر 2014م.

(9)المرجع السابق.

(10)ابن منظور: لسان العرب، دارصادر، مادة : وطن ، ص 451 .

(11)محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦ هـ ، ص362.

(12)أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية الدولية، ط1، دارالكتاب المصري، القاهرة، ١٤١٠ هـ ص93.

(13)وهيب طنوس: الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي. ص. 208..

(41) الدينوري أبو بكر أحمد بن مروان: المجالسة وجواره العلم، ج2، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ص209.

(15)محمد الجرجاني: التعريفات، ط1، دارالكتبالعلمية،بيروت،لبنان،1983، ص 253.

(16)م حمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، ج2، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار ابن كثير، بيروت، 1414هـ ص396.

(17)المرجع السابق، ص397.

(18)تامر خضر: محبة الأوطان واجبة بنص القرآن الكريم، مقال بصحيفة أخبار اليوم الإلكترونية، 30 مارس 2023.

(19)عصام الياسري: مفهوم الوطن والوطنية بين المنظور القيمي ومواقف أحزاب السلطة، موقع قناة العربية، 10 يونيو 2022.

(20)المرجع السابق.

(21)الوطنية، موسوعة ستانفورد للفلسفة، طبعة ربيع 2015 نسخة محفوظة 18 مارس 2019 على موقع واي باك مشين.

(22)محمد محمد حسين (1968). الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. مؤسسة الرسالة. ص. 68.

(23)مجذوب عيدروس: تجليات الوطنية في الشعر السوداني، 2022.

(24)قصيدة أنا سوداني: بصوت شاعرها محمد عثمان عبدالرحيم، قناة الشروق السودانية، 2012م.

(25)صلاح الدين مصطفى: صحيفة القدس العربي: رحيل الشاعر السوداني محمد عثمان عبد الرحيم، نسخة محفوظة 19-07-2020 على موقع واي باك مشين.

(26)المرجع السابق.

(27)الموسوعة الحرة: https:ar.wikipedia.org.

(28)بروف محمد عبدالله سليمان: رحيل شاعر، صحيفة اللغة العربية الإلكترونية، الأردن، 2014م.

(29)محمد عبدالباقي: الشاعر الغاضب محمدعثمان عبدالرحيم، صحيفة اليوم التالي، 27 سبتمبر 2014م.

(30)محمد محجوب محمد: الشعر السوداني الحديث من سؤال الذات إلى إجابة الثورة، ط1، دارآرثيريا للنشر والتوزيع، 2026، ص119.